سلسلة مطويات شبكة بينونة

وتوكل على الله

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فندال المزروعي

@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet
www.baynoona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نحمد الله على نعمه وآلائه، وأعظم تلك النعم نعمة الإيمان والإسلام التي يعيش فيها الإنسان في جنة معجلة في هذه الدنيا، ومن المقامات الإيمانية العظيمة والنسائم الجليلة التي هي من أعظم حقائق الإيمان، وممّا يربط الإنسان بالرحمن، ويجعله في صون من الفتن والشيطان: التوكل على الله .

نعم -حفظكم الله- إن أردت النصر والفرَج فتوكل على الله، قال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وإذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل على الله، كما قال ﷻ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١]، وإذا أعرض عنك الخلق فتوكل على الله، كما قال ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وإذا طلبت الإصلاح والصلاح بين قوم فلا تتوسل إلا بالتوكل على الله، كما قال ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١]، وإذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكل على الله، كما قال ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وإذا نصبت الأعداء حبالها، وتكالبوا مكرًا وخداعًا فاجعل ثباتك على التوكل على الله، كما قال ﷻ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يونس: ٧١]، وإذا عرفت أنّ مرجع كل شيء إلى الله، وتقدير كل شيء من الله، فوطن نفسك على التوكل على الله، كما قال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:

١٢٣]، وإذا أيقنت أن الله هو الواحد فلا يكن اتكالك إلا على الله ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾، إذا خشيت بأس الأعداء والشيطان، وغدر الغادرين فلا تلتجئ إلا بالله متوكلًا عليه، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٩٩]، وإذا أردت أن يكون الله وكيلك في كل حال، فتمسك بالتوكل على الله في كل حال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[الأحزاب: ٣]، إذا أردت منازل الفردوس فاجعل مقام التوكل في قلبك كالأساس، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٤٢]، إن شئت أن تنال محبة الله ﷻ فانزل في مقام التوكل على الله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالتوكل على الله شأنه عظيم، ومقامه جليل، هو من أعظم الأسباب التي يُحصِّلُ بها العبد المطلوب، ويندفع بها عنه المكروه، لذلك قال النبي ﷺ في موقف الناس يزاولونه في كل يوم، وهو خروج الإنسان من بيته، قال ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ»(١)، وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢)، ومن الأحاديث العظيمة في جانب التوكل ذلك الموقف عندما خرج النبي ﷺ على أصحابه فقال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» فبات الناس يدوكون ليلتهم، وبات الناس يخوضون، فقالوا: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام، لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»(٣)، فالتوكل سببٌ من أعظم أسباب دخول الجنة بغير حساب،

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، وصححه الألباني.
(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، والنسائي (١١٨٠٥)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصححه الألباني.
(٣) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨).

ومن المواقف والقصص العظيمة التي تعزز مقام التوحيد والتوكل على الله ﷻ ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]»(٤)، فتأمل في قصة إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد وإلى عبادة الله ﷻ وكادهم وكسّر أصنامهم وناظرهم، وناقشهم بالحجة والبرهان فما استطاعوا رد تلك الحجج بحجج وأدلة؛ لأنّ ما يقومون عليه من عقائد أوهى من بيوت العنكبوت، فردوا ورجعوا إلى القوة فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فلما ألقي في النار قال إبراهيم عليه السلام هذه الكلمة: حسبنا الله ونعم الوكيل، لاحظ العون والنصر من الله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، كل فتنة وكل مصيبة واجهت الإنسان فواجهها الإنسان بالتوكل على الله فلابد أن تكون عاقبتها بردًا وسلامًا، فقال الله ﷻ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩ - ٧٠]، فهذا مقامٌ عزيزٌ يعظم مقام التوكل على الله ﷻ، فأنت وأنا وكل مسلم محتاج غاية الحاجة أن يكون قلبه يثق بالله، ويعتمد عليه؛ لأنّه مهما اعتمد القلب على غير الله فهو يعتمد على ضعيف؛ لأنّ كل مخلوق فهو ضعيف، لذلك قال ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وكل ما دون الله ﷻ، أو سوى الله ﷻ من هذه المخلوقات من الإنس والجن تموت.

فتوكل على الله الحي القيوم الرازق الجبار المؤمن السلام عليه السلام، فإن كل من توكل على غير الله لن يوفق، أو لن تتم له تلك الأسباب التي هو يريدها، أو إن حصلت له فإنها تحصل له مع كدر وضيق لكن من توكل على الله فهو حسبه وكافيه،

(٤) رواه البخاري (٤٥٦٣).

لذلك هنا بعض الأمور التي يقع فيها بعض الناس يخل فيها بالتوكل على الله،

فأولًا التوكل ما هو ؟ هو اعتماد القلب على الله، وفعل الأسباب التي أذن بها الله ، لاحظ القلب معتمد على الله، أما الأسباب فيعملها على أنها أسباب بعض الناس يتعلق بالسبب دون المسبب، يتعلق بالسبب دون الذي خلق السبب، يتعلق بالسبب حتى وكأنه ينسى أن الله ﷻ هو من أعانه، وهو من يسر له السبب، والله ﷻ قد يأذن لهذا السبب في الحصول أو عدم الحصول، وفي المقابل بعض الناس بالعكس يتوكل على الله ويعتمد عليه، ويلغي الأسباب تمامًا، فمن تعلق بالسبب دون الله قدح في توحيده، ومن توكل على الله ولم يفعل الأسباب كان ذلك قدحًا في عقله.

وبعض الناس يقع في بعض الخلل في جانب التوكل من أنه يتطير ويتشاءم، النبي ﷺ قال: « **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ** »[٥]، الطيرة هي أن يتشاءم الإنسان بلون، برقمٍ، بعدد، بسنة، فبعض الناس يتشاءم من اللون الأحمر، وبعضهم يتشاءم من يوم الخميس، وبعضهم يتشاءم من العدد الفلاني، وفي هذه الأيام وفي هذه السنة سنة عشرين عشرين ميلادي مع الأحداث التي حصلت في هذه السنة، انتشار وباء فيروس كورونا، الانفجار الذي حدث بيروت، أو غيرها من المصائب، أو الآلام التي حدثت في العالم الإسلامي جعلت بعض الناس يتشاءم، وهذا التشاؤم مما نهى عنه الشرع، والواجب على الإنسان أن يسلم لقضاء الله وقدره ويفعل الأسباب التي تقيه تلك الشرور لا أن يتشاءم من هذه السنة، فإن التشاؤم على ما فيه من تحريم للشرع، فيه أيضا يأس وقنوط للإنسان ممّا يجعله لا ينتج ولا يعطي، لذلك كان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن وهي

(٥) رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وصححه الألباني.

الكلمة الطيبة.

أيضًا عندما ضعف التوكل عند بعض الناس وأتتهم المصائب، أو الخلافات الأسرية من الآلام الأسرية كفراق وخلافات بين الزوجين أو بين الأبناء أو بين الأقارب والأرحام عندما يضعف صبره وتوكله على الله ﷻ يلجأ مباشرة لضعف إيمانه إلى السحرة والكهان ليحبب فيه فلان أو ليطلق فلان على فلانة أو ليفارق فلان وفلان، وهذا كله حفظكم الله من المفاسد العظيمة والمحرمات الكبيرة كما قال النبي ﷺ، وعدّ السحر ﷺ من الموبقات، وبعض الناس يذهب إلى أن يقرأ فنجانًا أو يتنبأ على يد كاهن لينظر ما في المستقبل من خيرله، أو من شر يصيبه فيتنبأ على يد الكهان، والذهاب إلى الكهان والعرافين والمنجمين مما ينافي التوكل وهو من المحرمات الكبيرة التي قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» (٦)، وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (٧)، فهذه من المحرمات الكبيرة التي تنافي التوحيد.

فإن أردت السعادة وأردت الثبات في جميع المقامات، وأردت مواجهة المصائب، وأردت العون من الله والنصر والظفر والسعادة والقوة فعليك بركن التوكل على الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتوكلين الصابرين الشاكرين، أسأل الله ﷻ أن يحفظنا ويحفظكم ويحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين من كل شر وسوء، وأسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، إنّه سميع مجيب الدعاء وصلى الله على نبيّنا محمّدٍ.

(٦) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٨٧).
(٧) رواه مسلم (٢٢٣٠).